

المحاضرة العاشرة:

الحياة الثقافية واتجاهاتها في جزائر ما بعد الاستقلال

لقد بذلت الجزائر الجهود منذ مطلع الاستقلال لتجعل التحرر السياسي والاقتصادي واقعا ملموسا، يثبت دعائم الشخصية الوطنية ويساهم في إنطلاقة ثقافية أصيلة تستند إلى الواقع التاريخي للشعب الجزائري، هذا الواقع المير الذي جعل أبناء هذا الشعب يزداد تمسكا بدينه ولغته، خوفا من دخول قيم دخيلة مخالفة لثقافتنا العربية الإسلامية ولتوفير أرضية لذلك لجأت القيادات السياسية إلى الاهتمام بملف الثقافة من خلال المواثيق الرسمية من بداية الثورة على غاية اليوم.

إن الثقافة تستقطب حياة الفرد وبالتالي المجتمع، وتتناولها بالتغيير والتطوير، في ميدان اللغة والتقاليد والفنون والآداب، فقد كان من أولى اهتمامات هذه الثورة، تحرير اللغة العربية مما تعانیه من غربة وإقصاء ويتم ذلك عن طرق التعريب، وتجدد الروابط بالماضي عن طريق تصحيح التاريخ وإحياء التراث، والمقصود من هذه الالتفاتة إلى الماضي، هو تأكيد الهوية الوطنية، ثم الانطلاق نحو المستقبل، والعمل من أجل تكوين مجتمع حديث ينسجم ومتطلبات العصر الحديث.

ومن هذه المنطلقات تركز الاهتمام منذ السبعينيات على قضية "تصفية الاستعمار الثقافي" وموضوع "تأكيد الهوية الثقافية" إذ أنه لا تنمية شاملة ولا ازدهار واضح ولا خروج من التخلف ولا استقلال سياسي ولا اكتفاء اقتصادي من دون مناعة فكرية واستقلال ثقافي.

وفي هذا الإطار انعقدت عدة مؤتمرات وملتقيات منها المؤتمر الثاني للتعريب في شهر ديسمبر عام 1973م، وندوة المجلس الاستشاري للدراسات التاريخية وكان موضوعها: " نحو كتابة صحيحة وموضوعية للتاريخ الجزائري" سنة 1974م، والمؤتمر الدولي الأول حول الامبريالية الثقافية الذي عقد في الجزائر سنة 1977م، وغيرها من الندوات والملتقيات والجلسات.

وقد صدرت عن هذه الاجتماعات والملتقيات والمؤتمرات، عدة توصيات، انبثقت عنها مراسيم تنفيذية وقرارات تطبيقية ومناشير إدارية، تتعلق بترسيخ مبدأ التعريب بصفته من أهم مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، والاهتمام بالتاريخ لأنه ذاكرة الأمة ومقوم ضميرها الحي، وضرورة تحديد خطة ومنهج عمل لإعادة كتابته، مع الاهتمام بالتراث بمعناه الواسع، وإحيائه والحفاظ عليه وتوظيفه في ثقافتنا المعاصرة.

وقد عززت كل ذلك إرادة سياسية واضحة من طرف الدولة التي كانت ترى بأن الثورة الثقافية: تعني بالدرجة الأولى بعث اللغة الوطنية التي هي الوعاء الحقيقي للشخصية الجزائرية، وتعني التخلص من بقايا المظاهر الموروثة عن الاستعمار والتي تمثل الجانب السلبي للمجتمعات الاستهلاكية، وتعني تكوين الإطارات بالنوعية والكمية المطلوبتين لتحقيق تنمية البلاد وتدعيم أبنائها.

1-دستور 1963:

بالنسبة للثقافة كانت بدورها استجابة لضرورات مرحلة ما بعد الاستعمار وبالأخص حالة الأمة المزرية، فقد كان مسؤولو تلك المرحلة يعون خطورة المشكلة، وأنها تمثل العقبة الأكبر في سبيل تحريك دوايب الدولة، لذلك جاءت الإشارة إليها في مقدمة هذا الدستور كما يلي " انتهاج سياسة اجتماعية لفائدة الجماهير كي يرتفع مستوى معيشة العمال، والتعجيل بترقية المرأة قصد اشتراكها في تسيير الشؤون العامة، وتطوير البلاد ومحو الأمية، وتنمية الثقافة القومية وتحسين السكن، والحالة الصحية العامة " والفقرة المقتبسة من المقدمة تحوي إشارة إلى الثقافة من خلال تعبير "الثقافة القومية" والتي يوضح ذات الدستور دعائمها الأساسية والممثلة في الإسلام واللغة العربية.

إن الإسلام واللغة العربية قد كانا ولا يزال كل منهما قوة فعالة في الصعود ضد المحاولة التي قام بها النظام الاستعماري لتجريد الجزائريين من شخصيتهم، فيتعين على الجزائر التأكيد بان اللغة العربية هي اللغة القومية الرسمية لها وأنها تستمد طاقمها الروحية الأساسية من دين الإسلام".

ذات الدستور ليؤكد مرة أخرى على ملامح الهوية من خلال مقومي الدين واللغة فيؤكد في المادة الرابعة على أن الإسلام دين الدولة، وفي المادة الخامسة يؤكد على أن اللغة العربية هي اللغة القومية والرسمية للدولة. وان كان يستدرك تلك المطلقة في فصل الأحكام الانتقالية وبالتحديد في المادة 76 التي تنص على ما يلي: " يجب تحقيق تعميم اللغة العربية في أقرب وقت ممكن في كامل أراضي الجمهورية غير انه خلافا لأحكام هذا القانون، سوف يجوز استعمال اللغة الفرنسية مؤقتا إلى جانب اللغة العربية."

كما تحضر الثقافة من خلال مؤشر التعليم عندما نجد من بين بنود المادة (10) التأكيد على مجانية التعليم، ثم الحضور مرة أخرى في فصل الحقوق الأساسية وتحديدًا ضمن المادة (18) التي تجعل من التعليم حقا أساسيا، حيث جاء نص المادة كما يلي: " التعليم إجباري، والثقافة في متناول الجميع بدون تمييز إلا ما كان ناشئا عن استعدادات كل فرد وحاجيات الجماعة."

2-الثقافة من خلال ميثاق 1976:

تناول ميثاق الجزائر لسنة 1976 مفهوم الثقافة الجزائرية، وحدد أهدافها الرئيسية في ثلاثة عناصر هي:

-التأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية تقويتها وتحقيق التنمية الثقافية بجميع أشكالها. -الرفع الدائم لمستوى التعليم المدرسي والكفاءة التقنية.

-اعتماد في الحياة ما ينسجم مع مبادئ الثورة الإشتراكية كما يحدده الميثاق.

تندرج هذه الأهداف في إطار تكوين الإنسان الجزائري فكريًا بما يتلاءم وقيم المجتمع الجزائري، بالطبع فإن تحقيق هذه الأهداف يحتم قطع مخلفات الاستعمارية الفكرية. لذلك أضاف ميثاق 1976 إلى الوظائف الرئيسية للثورة الثقافية ثلاثة محاور يندرج ضمنها الجهد الثقافي وهي: أن الثقافة أداة لاكتساب الوعي الاجتماعي والعمل الملائم في سبيل تحويل البنيات الاجتماعية البالية إنها (أي الثقافة نضال منظم ومعبا للقضاء على التخلف الاجتماعي والإقتصادي للبلاد وأنها أخيرا جهد تربوي واع يرمي إلى محاربة كل الأحكام المسبقة المتعلقة بالعرق والطبقة والجنس ومحاربة النزوغ المضرب بالمجتمع.

هنا ورد التعبير عن النظام التربوي كمضمون حقيقي للثقافة، فالتربية فعلاً أساسية في تكوين الأجيال وتلقينهم المبادئ والقيم المنشودة، مثلما ورد في الوثيقة «... وإذ تساهم الثورة الثقافية في تكوين الإنسان الجزائري وفق أبعاد وطنية محددة، فإنها تساهم أيضاً في ازدهار الكيان الوطني وفقاً للثقافة التقدمية" كذلك "... تكون ثقافة رفيعة المستوى كفيلة بالإستجابة للحاجات الإيديولوجية الجمالية مع رفع المستوى الفكري لدى المواطن ففي ميثاق 1976 توضيحاً لتنوعية الثقافة، حيث حدد بدقة حسب ما ورد سابقاً صفات المادة الثقافية التي يتحتم على المؤسسات الثقافية كالصحف، الإذاعة والتلفزيون ودور الطباعة والسينما والمسرح وإلى غير ذلك... أن تكون ثقافة رفيعة المستوى.

3-الثقافة من خلال دستور1976:

قد ركز دستور 1976 على الثقافة من خلال مواده ولكن أعطاها أبعاداً أخرى مقارنة بالمواثيق التي سبقته حيث ورد «السيادة الوطنية ملك الشعب، يمارسها عن طريق الاستفتاء أو بواسطة ممثلين المنتخبين». كان الاهتمام منصباً حول الثورة الثقافية وذلك ما تبينه المادة 19:

✓ تستهدف الثورة الثقافية على الخصوص: التأكيد على الشخصية الوطنية وتحقيق التطور الثقافي.

✓ رفع مستوى التعليم ومستوى الكفاءة التقنية للأمة.

- ✓ اعتماد أسلوب حياتي ينسجم مع الأخلاق الإسلامية ومبادئ الثورة الاشتراكية مثلما يحددها الميثاق الوطني.
- ✓ تحفيز الجماهير وتعبئتها للكفاح من أجل التطوير الإجتماعي والإقتصادي للبلاد والدفاع عن مكاسب الثورة الاشتراكية.
- ✓ ضمان اكتساب وعي اجتماعي والقيام بعمل ملائم كفيل بتغيير البنايات البالية والمجحفة في المجتمع.
- ✓ مكافحة الآفات الاجتماعية ومساوئ البيروقراطية.
- ✓ القضاء على السلوك الإقطاعي والجهوية محاباة الأقارب وكل الإنحرافات المضادة للثورة. فنلمس هنا اهتمام كبير بالثقافة لاسيما الثورة الثقافية، كما جاء ذلك في المادة 151 من الدستور، ومن بين النقاط التي تطرقت لها في البند 23 حماية التراث الثقافي والتاريخي والمحافظة عليه، فدستور 1976 ركز على الثورة الثقافية.

4-الثقافة من خلال دساتير: 1989، 1996، 2008م:

نجد في كل هذه الوثائق اهتمام بالثقافة وتركيز على العمل الثقافي دوماً من خلال المواد المدرجة في كل من هذه الوثائق حيث ورد في المادة 30 "تستهدف المؤسسات ضمان مساوات كل المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات بإزالة العقبات التي تعوق تفتح شخصية الإنسان وتحول دون مشاركة الجميع الفعلية في الحياة السياسية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية" في المادة 36 "حرية الابتكار الفكري الفني والعلمي مضمونة للمواطن".

وهي نفسها في كل هذه الدساتير.

لهذا من خلال ما سبق نجد أن سياسات الجزائر المتعاقبة اهتمت بالثقافة وركزت على العمل الثقافي، هذا ما يؤكد المراسيم والقوانين الآتية الذكر:

-مرسوم رقم 36-139 ممضي في 19 يونيو 1986 (الجريدة الرسمية) عدد 24 مؤرخة في 11 يونيو (جولية) 1986، الصفحة 949، والذي يتضمن إنشاء قصر الثقافة.

-قرار وزاري مشترك ممضي في 25 يونيو 1987م (الجريدة الرسمية) عدد 22 مؤرخة في 31 ماي 1989، الصفحة 586، يتضمن التنظيم الداخلي لدور الثقافة.

-مرسوم تنفيذي رقم 94-414 ممضي في 23 نوفمبر 1994، الجريدة الرسمية عدد 79 مؤرخة في 30 نوفمبر 1994، الصفحة 22، يتضمن إحداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها.

-قرار ممضي في 7 مارس 1995 (الجريدة الرسمية) عدد 34 مؤرخة في 28 جولية 1995، ص: 26، ويتضمن تكوين هيئة لتصنيف الآثار والأماكن التاريخية.

-قرار ممضي في 12 أكتوبر 1997 (الجريدة الرسمية، عدد 82 مؤرخة في 14 ديسمبر 1997، ص: 27)، يتضمن فتح إجراءات تصنيف الآثار والمعالم التاريخية.

-مرسوم تنفيذي رقم 241-98 ممضي في 1 أغسطس (أوت) 1998 (الجريدة الرسمية عدد 56 مؤرخة في 2 أغسطس 1998، يتضمن تحويل مراكز الثقافة والأنباء إلى ديوان وطني للثقافة والإعلام.

-مرسوم تنفيذي رقم 402-05 ممضي في 17 أكتوبر 2005، الجريدة الرسمية عدد 70 مؤرخة في 19 أكتوبر 2005، ص: 10، يحدد كفاءات تسيير حساب التخصيص الخاص رقم 302-1199 الذي عنوانه: الصندوق الوطني لتحضير تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية لسنة 2007 وتنظيمها.

لقد برز العمل الثقافي أكثر من خلال المحاور السياسية التي انتهجتها الدولة الجزائرية بعد الاستقلال. فما تميزت إذا به السنوات الأولى من الإستقلال من مشاكل وصعوبات لم تسمح بتنظيم العمل الثقافي تنظيمًا حقيقيًا، كما ذكرنا سابقا فإلسمات الرئيسية للحياة الثقافية غداة 5 جولية 1962 كانت تابعة للنفوذ الفرنسي ومن ثم فقد كان الجهاز والنظام الموروث عن العهد الاستعماري لا يزالان يسيطران على المؤسسات الثقافية، أما التوجيه العام للسياسة الثقافية فقد ركز على المهام الأربعة الأساسية الآتية:

-تعزيز قيمة التراث الثقافي عن طريق إحياء أثاره وأعماله الفنية، متاحفه وكذا عن طريق استرجاع اللغة الوطنية، التي تعتبر عامل وعنصر أساسي في الثقافة الوطنية وديمقراطية التعليم.

-إعادة تنظيم البنى الإدارية والثقافية وإعادة تشريع وطني مثلما ذكرنا من قبل، من أجل ملائمة الرسالة الثقافية لإختيارات الجزائريين، كذلك النهوض بنشر الثقافة، ذلك من خلال الاهتمام وإعطاء الأولوية للوسائل السمعية البصرية، فقد كانت المهمة ضمان الانطلاق السريع والفعال على صعيد الإعلام والثقافة بتزويد البلاد بالوسائل اللازمة لتحديث وسائل الإعلام الجماهيري والتعزيز الهائل لقدرتها لصالح التوعية الشعبية، التي عانت من الأمية المتفشية في أوساطها، والسعي إلى تطبيق سياسة جزئية في مجال الوسائل السمعية البصرية، لتكون في خدمة التربية والتعليم والثقافة.

-كذلك تحقيق الديمقراطية واللامركزية لنشر الثقافة والتعليم وتشجيع الإبداع بالإضافة إلى الإعداد للتعاون الثقافي من أجل الإسهام في إزدهار الثقافة على الصعيدين الوطني والدولي وأهمها إنشاء وزارة الإعلام والثقافة.

بحكم التطورات السريعة التي شهدها العالم خلال السنوات الأخيرة والتأثيرات المباشرة للثورة الرقمية على نمط الحياة الإنسانية وعلى جميع الأصعدة الإجتماعية الإقتصادية والثقافية... وباعتبار السياسة المنتهجة في البلاد متفتحة على العالم فتأثرت الثقافة الجزائرية بالثقافات المجاورة وأثرت فيها وحتى تسير الدولة الجزائرية التحولات العالمية، فقد اهتمت بالتنمية الثقافية «التي تمثل الزيادة في الثقافة بكل أشكالها. جوانها ونشاطاتها، فتنمية البعد الثقافي يسهل التنمية الشاملة في مختلف القطاعات.